أسماءُ ((مَكّةَ)) وأوصافُها في التّعبيرِ القُرآنيِّ

أ.م.د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكدّاوي*

تاريخ التقديم: 2007/7/15 تاريخ القبول: 2007/8/21

أوّلاً: الأسماء الصريحة

وردت الأسماء الصريحة لـ (مكة) في الاستعمال القرآني في مواضع قليلة، قياسًا بالأوصاف التي وصفت بها "مكة" وهي بحسب ذكرها (بكة ومكة والكعبة والقرية والبلد وأم القرى والبيت والمسجد)، وسنقف عند هذه الأسماء بالتحليل الدلالي لينكشف لدينا مدلول كل اسم كما استعمله التعبير القرآني، ووفق السياقات التي جاءت فيها.

((بَكَّةُ و مَكَّةُ))

آثرنا الجمع بين الاسمين "بكة ومكة" لتقاربهما معنى وصياغة وصوتاً، بل–كما ذكر بعض العلماء–هما اسمان لشيء واحد مع وجود فرق لطيف دقيق بينهما. وبكة وردت في موضع قراني واحد في سياق بيان فريضة الحج في قوله عز وجل ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِين**﴾ آل عمران/96. وبكة اسم مأخوذ من الفعل "بك" و"الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاحم والمغالبة"[(1)] ومنه بكَّ فلان يبك بكة بمعنى زحم قال الراجز:

إذا الشريبُ أخذتـه أكّـه فخلّـه حتـى يبـك بكـه

وتباك القوم ازدحموا[(2)]. والبكبكة: الازدحام تبكبك القوم على الشئ إذا ازدحموا عليه ومعكوسه الكبكبة الجماعة من الناس تحمل في الحرب[(3)] وذكر

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس/92. تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(2) =: الصحاح، الجوهري: 1576/4تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت.

(3) =: جمهرة اللغة، ابن دريد: 128/1طبع بالأوفست – مكتبة المثنى، بغداد، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي: 266/2تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطابع الأهرام – مصر.

الخليل بن احمد أنَّ البك هو دق العنق[1]، أما "مكة" فقد وردت في موضع قرآني أيضا في سياق فضل الله على رسوله والمؤمنين في صلح الحديبية في قوله تبارك وتعالى﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**﴾ الفتح/24

ومكة اسم اشتق من الفعل "مكّ" فالميم والكاف المضعفة أصلان صحيحان يدل الفعل منهما على انتقاء العظم، يقال: مككت العظم أي أخرجت مخه، اومتك الفصيل ما في ضرع أمه: مصه وشربه. والتمكك: الاستقصاء، ومنه قوله (ﷺ) "لاتمككوا على غرمائكم" أي لا تستتعصوا[2]. ومن المجاز قولهم لأهل مكة: المكوك وتقول: إن الملوك إذا بايعتهم مكوك[3] وقد تضاربت آراء المفسرين واللغويين في مدلول الاسمين (بكة ومكة) فمنهم من جعلهما اسمين لمسمى واحد يطلق على المكان الذي فيه بني المسجد الحرام في ارض الحجاز. وقد عللوا هذا الرأي بما وجدوه من اثر إبدال الميم من الباء مستندين بقول العرب "ما هذا بضربة لازم ولازب" وقولهم: النبيط والنميط، والاعتقاب أمر راتب وراتم، وحمى مغمطة ومغبطة وغيرها[4] قال النابغة[5]:

ولا يحسبون الخيرَ لا شَرَّ بعدَه ولا يحسبون الشَرَّ ضربةَ لازب

ولعل هاتين اللغتين مردهما التجانس الصوتي في مخرج الباء والميم، إذ هما حرفان شفويان الأول مجهور شديد، والثاني مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة[6].

---

(1) =: العين: 285/5تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

(2) =: مقاييس اللغة/930، المفردات في غريب (ألفاظ) القرآن، الراغب/474، المكتبة التوفيقية – مصر.

(3) =: أساس البلاغة، الزمخشري/601دار صادر – بيروت

(4) =: الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الانباري: 112/2، الكشاف، الزمخشري/183.

(5) ديوان النابغة الذبياني/16، دار المعرفة – بيروت.

(6) =: في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية/20، الألفاظ القرآنية المتقاربة صوتاً ومعنىً – درس دلالي لما اختلف منهما في احد الأصليين الأول والثاني، د. عماد عبد يحيى/264 بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ع 32 سنة 1999.

ومنهم من فرق بينهما بحسب المكان الجغرافي فقالوا بكة هي اسم البيت أي المسجد الحرام، وقيل بطن مكة، وقالوا مكة اسم المدينة، أو اسم لما حول الحرم، أو هي البلد الحرام[1]، ومنهم من فرق بينهما نظرا إلى المادة اللغوية التي اشتقا منها، من ذلك أنها سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم أي تدقها، ولم يقصدها معتد إلا قصمه الله تعالى، وقيل لان الناس يبك بعضهم بعضا رجالا ونساء في الطواف يتدافعون، والتباك الازدحام[2]. أما وجه تسمية (مكة) فقيل سميت كذلك لقلة مائها، لان أهلها يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه، وقيل لأنها تمك من ظلم أي تذهب نخولهم ومنه قول الراجز:

يـا مكـةُ الفـاجرَ مُكّـي مَكّـا ... ولا تَمُكّـي مُـذحجاً وعَكّـا

أو لأنها وسط الأرض، كالمخ الذي هو أصل ما في العظم، أو لازدحام الناس فيها من قولهم: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة إذا مصه مصّاً شديداً[3]. وقيل لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقي فيه شيئاً[4].
والذي يبدو لنا من الآيتين اللتين ورد فيهما اسما(بكة ومكة) نزولاً ومناسبة أنّ الآية التي ورد فيها اسم (بكة) جاءت تخصيصاً لبيان فريضة الحج والحج محله البيت الحرام الذي يتزاحم فيه الناس، فبكة إذن هي المسجد الحرام بحدوده المخصوصة.
أما الآية التي ورد فيها اسم (مكة) جاءت تخصيصاً لبيان نصر صلح الحديبية حينما أراد رسول الله (ﷺ) حج بيته وهو خارج مكة، فمكة هي المدينة أو البلدة التي فيها البيت الحرام بحدودها المخصوصة. وقد أثبت هذا الفرق باحث معاصر، إذ ذكر أن ّبكة هو موضع بناء بيت الله الحرام، ومكة سائر المنطقة التي بني فيها البيت[5].

---

(1) =: الكشاف/183، المفردات/97، بصائر ذوي التمييز: 266/2، الألفاظ القرآنية المتقاربة – صوتا ومعنى –/264.
(2) =: العين: 287/5، مقاييس اللغة/92، الصحاح: 1176/4.
(3) =: الزاهر في معاني كلمات الناس: 112/2، المفردات/474، لسان العرب، ابن منظور: 491/10، دار صادر – بيروت.
(4) =: معجم البلدان، ياقوت الحموي: 182/5، دار الفكر – بيروت.
(5) =: الألفاظ القرآنية المتقاربة – صوتاً ومعنىً –/264.

((الكعبة))

ورد اسم (الكعبة) في موضعين قرآنيين في سورة المائدة هما قوله تعالى: ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً...**﴾ الآية/95، وقوله عز وجل ﴿**جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...**﴾ الآية 97. والكعبة اسم على البناء المربع الذي بناه سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام) ليكون بيت اللّه يقصده الناس للحج، وأصل الكعبة مأخوذ من "كعب"، والكعب مشتق من شيئين: إما من كعب الإنسان والدابة وجمعه كعاب أومن كعب القناة وجمعه كعوب[1] والكعب: "العظم لكل ذي أربع، والكعب كل ذي مفصل للعظام وكعب الإنسان ما اشرف فوق رسغه عند قدمه، وقيل الناشز فوق قدمه، وقيل هو العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم، وانكر الأصمعي قول الناس أنه في ظهر القدم، وذهب قوم إلى أنهما العظمان اللذان في ظهر القدم ورجل عالي الكعب يوصف بالشرف والظفر. . . "[2]، ومنه يقال كعبت المرأة إذا نتأ ثدياها -اي عليا في صدرها- فهي كاعب[3]. قال سبحانه واصفاً نساء أهل الجنة ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابا﴾ النبأ/33 والكعبة -بالضم- عذرة الجارية ومنه قولهم الجارية بكعبتها[4]. واختلف في تسمية البيت الحرام بـ (الكعبة) فقيل سميت بذلك لأن التكعيب هو التربيع وكل بناء مربع عند العرب كعبة، وأضافوا الكعبة إلى البيت(كعبة البيت) لأن كعبته تربّع أعلاه وجمع الكعبة الكعبات، وذو الكعبات بيت لربيعة كانوا يطوفون به قال الأسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارقٍ والبيت ذي الكعبات من سنداد[5]

(1) =: الاشتقاق، ابن دريد/24.

(2) لسان العرب: 718/1، و=: مقاييس اللغة/895.

(3) =: الصحاح: 1/ 213، المصباح المنير/318.

(4) =: أساس البلاغة/546.

(5) =: العين: 207/1، جمهرة اللغة: 314/1.

وقيل سميت بالكعبة لارتفاع بنائها ونتوئها، وكل بناء مرتفع فهو كعبة، وقد ورد في الأخبار أن أول ما خلق الله –عز وجل– في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا[1]لذا جاءت التسمية من جهة الهيئة تربيعاً وارتفاعاً، وتخصيص الكعبة في الآيتين بالذكر ورد في الأولى لتحريم الصيد وقت الحج، وإنْ فعله ناسياً قدّم هدياً يبلغ البيت فمحل الحرمة هي الكعبة تحديداً ويشمل التحريم مكّة كلها وفي الثانية بياناً لفضل الكعبة المحرمة على الناس إذ هي قيام لهم بما يصلح دينهم ودنياهم.

((القرية))

ورد لفظ القرية علماً على مكة المكرمة، موطن ولادة رسول الله (ﷺ) في موضعين قرآنيين الأول ورد في سورة الزخرف وهو قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ الآية/31والثاني في سورة محمد وهو قوله عز وجل ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾ الآية/13، قصد بالقريتين في الأول مكة والطائف، وبقريتك في الثانية مكة والكاف المضافة إليها خطاب للرسول (ﷺ). والقرية"كل مكانٍ اتصلت به الأبنية واتّخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها"[2]. وهي المكان الذي يجتمع فيه الناس[3]، واختلف في أصل اشتقاقها فقيل مشتقة من "قرو" وأصله قولهم "قروت الأرض وتقّريتها إذا تتبعتها، وما زلت استقري هذه الأرض قريةً قريةً، وقيل مشتقة من "قري" وذلك من قولهم: "قريت الماء في الحوض إذا جمعته، ومصدره "قرياً وقريً" ويقال يقري البعير العلف في شدقه أي يجمعه، قال الراجز:

يا عجبا لصلتان يقري   يقري ولا يقرى فأمسى يجري[4]

---

(1) =: معجم البلدان: 4/463-464، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 284/6، المكتبة التوفيقية – مصر.

(2) المصباح المنير/298.

(3) =: بصائر ذوي التمييز: 266/4.

(4) الزاهر في معاني كلمات الناس: 107/2، أساس البلاغة/5005، لسان العرب: 178/15.

وقد جعل ابن فارس القرو والقري واحداً وذلك قولك: "قروت وقريت" إذا سلكت وتتبعت قريةِ قريةِ مستشهداً بقول النابغةالذبياني: يقرو الدّكادك من دنبان والأكما[1][2]وجمع القرية "قرىً" بالضم على غير القياس، إذ جمع ما كان على وزن "فعلة" ممدود مثل "ظبية وظباء" وقد جاء هذا الجمع مقيساً في لغة أهل اليمن إذ يقولون "قرية" بالكسر. والقيروان الجماعة من الناس وخيل معرب[3]. وقد تطلق "القرية" ويراد بها أهلها كما ورد في قوله عزّ وجلّ ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ يوسف/82، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقد يراد بالقرية القوم أنفسهم وعلى هذا جاء القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً**﴾ النحل/ 112[4]، وقد تطلق القرية ويراد بها مكان مخصوص، كما ذكرت القريتان في قوله تعالى: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ الزخرف/13 وعليه ورد قول معن بن أوس[5]:

لها مورد بالقريتين ومصدر لفوت فلاةٍ لا تزال تنازله

أما قوله تعالى ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾ محمد/13فاطلق القرية وأراد أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) والمعنى وكأين من قوم هم اشد قوة من قوتك[6]. والمراد بالقوم أهل مكة على سبيل المجاز -كما ذكرنا-.

((البلد))

---

(1) رواية الديوان/104.

حتى غدا مثل نصل السيف يقرو الاماعز من لبنان والاكما

(2) =: مقاييس اللغة/852.

(3) =: جمهرة اللغة: 2/411-412، الصحاح: 6/2491.

(4) =: بصائر ذوي التمييز: 4/266.

(5) معجم البلدان: 4/335.

(6) إرشاد العقل السليم، أبو السعود: 8/94-95، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

حوى التعبير القرآني ستة مواضع ورد فيها لفظ (البلد) علماً على مكة المكرمة، الأولان جاءا دعاء من سيدها إبراهيم (عليه السلام) لأهل البلد الحرام بالأمن في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ البقرة/126، وفي قوله تعالى ﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً**﴾ إبراهيم/35. والموضعان الآخران جاءا قسَماً من الباري عز وجل بالبلد وتسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو قوله تعالى: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ{1} وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ البلد/ 1–2، وموضع ورد بصيغة التأنيث (البلدة) في سورة النمل في قوله عز وجل ﴿**قل إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ النمل/91 وموضع موصوف وهو قوله عز وجل ﴿**وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ التين/3. والبلد يطلق على الموضع المختط المتميز المحدود من الأرض، يستأنس به قطانه باجتماعهم وإقامتهم فيه، وقد يطلق على المكان الخالي غير المسكون، وتسمى المقبرة بلداً لأنها موطن الأموات، وكذلك المفازة لأنها موطن الوحشيات، وربما عني بالبلد التراب نفسه(1). والبلد يذكر ويؤنث (بلد –بلدة) وجمع المذكر (بلدان) وجمع المؤنث (بلاد)(2). وورد لفظ (البلد) في القرآن الكريم وأريد به خمسة معان (3) المعنى الأول: مكة –وقد ذكرنا مواضعه آنفاً–، والثاني: سبأ في قوله عز وجل: ﴿**كلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾ سبأ/15، الثالث: عموم الإطلاق على المدن في قوله عز وجل ﴿**لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ**﴾ آل عمران/196، الرابع: الأرض المجدبة لا نبات فيها في قوله عز وجل ﴿**سُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ فاطر/9، الخامس: الأرض المنبتة وقيل أريد بها الكناية عن صفاء النفس وخبثها في قوله عز وجل: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**﴾ الأعراف/58، ومن بديع النظم القرآني ورود لفظ (البلد) في آيتي البقرة وإبراهيم بالتنكير أولاً وبالتعريف

---

(1) =: العين: 24/8، المفردات/69.

(2) =: الفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود/61، 69، دار المعارف – مصر

(3) =: بصائر ذوي التمييز: 272/2–273.

ثانياً، وتنكيره في البقرة ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾ قصد به بلد مكة قبل بناء البيت، وتعريفه في إبراهيم قصد به البيت الحرام بعد البناء، وقيل إن النكرة إذا تكررت صارت معرفة, وثمة توجيه آخر هو أن في قوله﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَابَلَدًا آمِنًا**﴾حذفا والتقدير ﴿**هَذَاالبلد بَلَدًا آمِنًا**﴾اكتفاءً بالإشارة فيكون كالإتيان سواء[1].

أما ما ورد في مفتتح سورة البلد ﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ(1) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ فقد اقسم الله عز وجل بالبلد تعظيماً لشرفه وعلو مكانه بين الأمكنة، وزاد الأمر شرفاً بحلوله (ﷺ) به إشعاراً بإعظامه بالاقسام به، وقيل إنه (ﷺ) مع جلالة قدره فقد استحل الكفار في هذا البلد إذاءه والاعتداء عليه[2] وسبق البلد باسم الإشارة (هذا) زاده تفخيماً وتعظيماً لدى السامع. أما موضع التأنيث فهو أمر الله لرسوله بعبادته لأنه رب بلدته التي عظمها إذ يقول ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾ النحل/91، وإضافة لفظ (رب) إليها "لتفخيم شأنها وإجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الإشعار بعلة الأمر وموجب الامتثال به"[3] وقوله ﴿**الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾ نعت للبلدة مجرور، وقرأ ابن مسعود وابن عباس ﴿**الَّتِي حَرَّمَهَا**﴾ نعت للرب محله النصب[4].

((أم القُرى))

ورد اسم أم القرى علمًا على مكة في موضعين قرآنيين، الأول في سورة الأنعام في قوله تعالى ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ الآية/92 والثاني في سورة الشورى في قوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...**﴾ الآية/7 قد اجمع علماء

---

(1) =: البرهان في متشابه القرآن، الكرماني/117، دار الوفاء للطباعة والنشر – مصر.
(2) =: إرشاد العقل السليم: 160/9.
(3) إرشاد العقل السليم: 306/6.
(4) =: الجامع لأحكام القرآن: 198/13، و=: معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم، احمد مختار عمر: 374/4، مطبعة أمير – إيران.

اللغة والمفسرون على أن (أم القرى) يراد بها مكة[1] وقد انتقلت إليها العلمية بعد أن كانت وصفا في أصل وضعها نتيجة لكثرة الاستعمال، وهذا وارد في العربية – اعني انتقال اللفظ من الوصفية إلى العلمية. ويكون هذا العلم من المركب الإضافي المضاف (أم) والمضاف إليه (القرى)، ولفظ الأم في اللغة يعني الأصل في كل شيء. "اعلم أن كل شيء يضم إليه سائر ما يليه، فإنَّ العرب تسمي ذلك الشئ أمّاً. . . "[2]، وقد فرّع ابن فارس هذا الأصل إلى أربعة أبواب وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين وجميعها متقاربة[3] لوجود الرابط الرئيس الذي يدل عليه الأصل. والأم بإزاء الأب: الوالدة، وتكون قريبة من الذي ولدته، أو بعيدة وهي التي ولدت من ولدته، وسميت حواء أمنا على ذلك المعنى البعيد، والأمة فيها ثلاثة أوجه بفتح الهمزة وتعني الشجة في الدماغ، وبكسرها وتعني النعمة، وبضمها ولها أكثر من معنى، منها الجماعة من الناس، أو رجل يقوم مقام الجماعة، ومنها الحين، ومنها الأم. . . [4]. وتجمع الأم على أمهات أو أَمَّات، فالأول على أن أصلها أمهة، والثاني على زيادة الهاء في وسطها، وقيل أمهات جمع في بني آدم، وأمات في غيرهم أي البهائم، وقال بعضهم امة وامهة لغتان ليست احداهما أصلا للأخرى[5] ولا حاجة إلى دعوى حذف ولا زيادة، وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

إذا الأمهاتُ قَبَحْنَ الوجوهَ   فرجت الظلام باماتكا

وسميت سورة الفاتحة أم القران لأنها مبتدؤه ومفتتحه، وأم الكتاب أريد به ما في اللوح المحفوظ، وأم الرّمح لواؤه وما لف عليه. وأم الرأس الدماغ[6]. وتسمية مكة (ام القرى) جاء بطريق الاستعارة، إذ شاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى

---

(1) =: معاني القرآن، الفراء: 344/1تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب–بيروت، الزاهر في معاني كلمات الناس: 107/2، الصحاح: 1863/5، الجامع لأحكام القرآن: 120/1.
(2) العين: 426/8.
(3) مقاييس اللغة/31.
(4) =: المثلث، ابن السيد البطليوسي: 327/1–328، تحقيق صلاح الفرطوسي، دار الحرية للطباعة – بغداد.
(5) =: المصباح المنير/19–20.
(6) =: المفردات/33.

صارت حقيقة[1]. وقد اختلف أهل التفسير في سبب التسمية، فقال ابن عباس سميت بذلك لأنها قبلة أهل الدنيا فصارت هي الأصل وما حولها فرع تابع لها، وكذلك لأن أصل عبادات أهل الدنيا الحج، ويحصل فيها فيجتمع الخلق كما يجتمع الأولاد إلى الأم ولما كان الحج فيه منافع التجار والكسب فلا يحصل في غير مكة من بلاد كانت تلك المنافع من أصول المعيشة. وقيل لأن الكعبة أول بيت وضع للناس، وقيل إن مكة أول بلدة سكنت الأرض[2]. أما الآية ﴿**لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى**﴾ ففيها حذف للمضاف والتقدير لتنذر أهل أم القرى، إذ المقصد من الإنذار الناس وليس المكان، ويلحظ أن الموضعين اللذين ورد فيهما اسم (أم القرى) سبقا بفعل النذارة بصيغة المضارع المسبوق بلام التعليل، وذلك لأن بدء الرسالة ومكان ظهورها كان في مكة مولد الرسول (ﷺ) ثم إلى العالم الإسلامي بأسره، فكان أصلاً لنشر معالم الدين الإسلامي الحنيف، أما لفظ (القرى) فقد –سلفت الإشارة إليه مفصلاً–.

((البيت))

ورد لفظ (بيت) اسماً علماً خاصاً بالكعبة المشرفة في أربعة عشر موضعاً[*]، وقد اتخذ ثلاث صور تركيبية، الأولى معرفاً بالألف واللام ومنه قوله عز وجل ﴿**جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ**﴾ المائدة/97 والألف واللام فيه للعهد الذهني، والثانية معرفاً بالإضافة إما إلى ياء المتكلم العائدة إلى الله تعالى كما في قوله عز وجل: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود**﴾ الحج/26 أو إلى كاف الخطاب كما في قوله عز وجل ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ إبراهيم/37، والثالثة: موصوفاً كما في قوله عز وجل ﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾ الطور/4ويلحظ أن السياقات التي جاء فيها لفظ ﴿**بَيْتِ**﴾ كانت لبيان الحج وما يتعلق به من أحكام كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّ**

---

(1) =: التحرير والتنوير، ابن عاشور: 372/4.

(2) =: التفسير الكبير، الرازي: 86/7، المطبعة البهية المصرية.

(*) تنظر المواضع: البقرة/125، 127، 158، آل عمران/96–97، المائدة/2، 97، الأنفال/35، إبراهيم/37، الحج/26، 29، 33، الطور/4، قريش/3.

الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/58، أو لبيان فضل الله على قريش كما في قوله تعالى ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3)الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ قريش/3–4، أو لبيان نعي الله على الكفار في طوافهم بالبيت كما في قوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾الأنفال/ 35، وقد اجمع المفسرون على أن المراد من البيت هو البناء المربع المرتفع (الكعبة) حصراً[1]. والبيت في مادته اللغوية (الباء والياء والتاء) أصل يدل على المأوى والمآب ومجمع الشمل ومنه سمي بيت الشعر بيتاً لأنه يجمع الألفاظ والمعاني[2]، وبات الرجل إذ أقام بالليل وضده إذا أقام بالنهار ثم أصبح اللفظ علماً على المسكن من غير اعتبار لليل فيه[3]. وتضعيف ثانيه (عينه) بيَّتَ بمعنى دبّر ليلاً يقال: بيَّت الأمر إذا دبّره ليلاً، قال جرير[4]:

اعـدّ لبيـوت الأمـر إذا سـرت   جماليـةً حرفـاً وميسـاً مفـردا

وفلان من أهل البيوتات إذا كان من بيتٍ كريمٍ[5]. وللبيت جمعان الأول جمع قلة على زنة (أفعال) في كل اسم ثلاثي معتل العين (بيت–أبيات)، والثاني جمع كثرة على زنة (فُعُول) ويطرد في وزن (فَعْلٍ)(بيت–بيوت)[6]. وقد فرق اللغويون بين الجمعين بأن البيوت جمع خاص بالمسكن، والأبيات جمع خاص بالشعر[7]. والأول جاء بلغة التنزيل في قوله عز وجل ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...**﴾ النور/36 وتخيّر لفظ البيت علماً على الكعبة الشريفة لأنها مأوى الحجيج ومآبهم ومجمع شملهم من كل وجهة، وهي بيت العِز والرفعة والكرم كما أن البيت مأوى الرجل وعياله، فما حال بيت رب العالمين، وانظر كيف

---

(1) =: الكشاف/95، الجامع لأحكام القرآن: 100/1، بصائر ذوي التمييز: 196/2.
(2) =: مقاييس اللغة/146.
(3) =: المفردات/75.
(4) ديوانه/130، دار المعرفة – بيروت.
(5) أساس البلاغة/56.
(6) =: الفيصل في ألوان الجموع/36، 65.
(7) =: المصباح المنير/46.

تواشجت الألفاظ مع المعاني في سورة قريش التي دعا فيها رب قريش إلى عبادته فقال ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ فنبههم الحق تبارك شأنه بأن يعبدوه لا لسائر نعمه، بل لشأن هذا الإيلاف والاتجار برحلة الشتاء والصيف وفي "تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان: احدهما: لأنه كانت لهم أوثان فميز نفسه منها. والثاني لأنهم بالبيت شُرِّفوا على سائر العرب فذكر لهم ذلك، تذكيراً لنعمته"[1] فهو مطعمهم بعد جوع، ومؤمنهم بعد خوف وتحقق ذلك في دعاء سيدنا إبراهيم ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ...**﴾ البقرة/126.

((المسجد))

لفظ (المسجد) ورد علماً على مكة في خمسة عشر موضعاً قرآنياً[*]، جميعها مدنية الذكر سوى آية الإسراء في مفتتحها فهي مكية، وبهذا الذكر يعد الأكثر دوراناً في التعبير القرآني، ومما لوحظ أيضاً انه لم يرد هذا اللفظ إلا مقروناً بقيد الوصف محصوراً بلفظ (الحرام) فأصبح الاسم مع وصفه (المسجد الحرام) علماً مركباً. أما سياقات الذكر، فقد تنوعت وفق المراد بيانه، من ذلك اتجاه القبلة في الصلاة إليه، في قوله عز وجل ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ البقرة/144، ومنه حرمة القتل في قوله عز وجل: ﴿**وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ**﴾ البقرة/191، وحرمة المشركين دخوله ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ التوبة/28، ومنه الصّد عن دخوله في قوله تعالى ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ المائدة/2، ومنه البشارة لفتحه في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ الفتح/27، ومنه إسراء الرسول (ﷺ) منه في قوله عز وجل ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ**

---

(1) الجامع لأحكام القرآن: 162/20.

(*) تنظر المواضع: البقرة/144، 149، 150، 191، 196، 217، المائدة/2، الأنفال/34، التوبة/ 7، 19، 28، الإسراء/1، الحج/25، الفتح/25، 27.

الْأَقْصَى﴾ الإسراء/1، والمسجد من الألفاظ الإسلامية التي اتخذت دلالات شرعية جديدة بعد مجئ الإسلام، إذ أصبح علماً على المكان أو الموضع الذي تؤدى فيه العبادة من صلاة وذكر وتلاوة للقرآن، واصله من الفعل (سجد) الذي يدل على تطامن وذلّ، وكل ما ذلّ فقد سجد قال أبو عمرو: أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور:

فضولٌ أزمّتها أسجدت   سجود النصارى لأربابها[1]

ومن المجاز: شجرة ساجدة أي مائلة، والسفينة تسجد للرياح: تميل بميلها ومنه قول الشاعر:

أجالد صفهم ولقد أراني   على زوراء تسجد للرياح

فلان ساجد المنخر: إذا كان خاضعا ذليلا، وعين ساجدة: فاترة[2] ويقال للبعير إذا طامن رأسه لراكبه قد سجد البعير واسجد قال الشاعر:

وقلن له اسجد لليلى فأسجدا

أي البعير إذا طأطأ رأسه[3]، ثم انتقل المعنى اللغوي بحقيقته و مجازه إلى المعنى الشرعي بالتذلل والانقياد لله –عز وجل– يقول الراغب[4]: وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن وسجود الشكر، وقد يعبر به عن الصلاة بقوله ﴿**وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾ أي إدبار الصلاة... والمسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود وقوله: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**﴾، قيل عني به الأرض إذ قد جعلت الأرض كلها مسجداً وطهوراً... وقيل المساجد مواضع السجود والجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان، والمسجد اسم مكان على زنة (مفْعِل) جاء على غير القياس، والقياس (مسجَد) بفتح الميم والجيم معاً، وذلك لان قياس صوغ اسمي الزمان والمكان من الثلاثي الذي مضارعه مضموم

(1) مقاييس اللغة/483.
(2) =: أساس البلاغة/285.
(3) =: بصائر ذوي التمييز: 3/188.
(4) المفردات/230.

العين (سجُد) على زنة (مُفْعَل)[1]، وقد فرق الخليل بين الوزنين بقوله[2] "والمسجد اسم جامع يجمع وحيث لا يسجد بعد أن يكون أتخذ لذلك، فأما المسجد من الأرض فموضع السجود نفسه". والسجدة بالكسر مصدر للنوع والهيئة.

ثانياً: الأوصاف[*]:

لم يقتصر التعبير القرآني في ذكره للبقعة المباركة – مكة – على أسمائها الصريحة، أو ما أصبح اسماً بطريق استعمال الوصف علمًا ويجد المتأمل أن الباري –عز وجل– قد أسبغ عليها أوصافا زادتها شرفاً وعلواً لم تكن لغيرها من بلاد الأرض. وقد تعددت الأوصاف فكان لها نسقان في الذكر، جاء الأول بذكر الاسم الصريح أولا ثم أردف بالوصف ثانية – وهذا هو الأكثر في التعبير–، والثاني اعتمد على ذكر الوصف دون سابقه ورود للاسم قبله، وسوغ ترك الاسم في هذا النسق أنَّ الوصف المستعمل أصبح مقتصراً على (مكة) لا تشاركها فيه أية بلدة. ومما يلحظ في مجئ الوصف أنه قد يذكر جذره اللغوي وتتعدد صيغه الصرفية كما في الوصف بـ(الأمن والآمن والأمين) إذ لكل صيغة دلالتها التي يحددها السياق لها، وقد يكون الوصف فعلاً كما في الوصف بـ(يُجْبَى إليه)، وسنستقصي ذكر الأوصاف، وفق أسبقيتها لغوياً، وكثرتها وقلتها ذكراً، وكما يأتي:

أولاً: الأوصاف المتكررة:

(1) =: شذا العرف في فن الصرف، احمد الحملاوي/110، اعتناء عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت.

(2) العين: 49/6.

(*) آثرنا استعمال مصطلح (الوصف) على (الصفة)، وذلك لان الوصف اسم جنس يقع على الكثير والقليل، والصفة أخص منه وهي ضرب منه، وقد فرق أبو هلال العسكري بين المصطلحين إذ أشار إلى أن "الوصف مصدر والصفة فعلة، وفعلة نقصت فقيل: صفة، واصلها وصفة فهي أخص من الوصف، لأنَّ الوصف اسم جنس يقع على كثيره وقليله والصفة ضرب من الوصف مثل الجلسة والمشية، وهي هيئة الجالس والماشي، ولهذا أجريت الصفات على المعاني" الفروق اللغوية/43، دار الكتب العلمية – بيروت.

الوصف بـ ((الأمن– الآمن– الأمين))

وصف البيت بالمصدر (الأمن) في موضع واحد ورد في قوله عز وجل ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...**﴾ البقرة/125. أما الوصف باسم الفاعل (الآمن) فقد ورد في موضعين الأول قوله تعالى ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ...**﴾ القصص/57، وقوله ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ...**﴾ العنكبوت/67. وجئ الوصف بصيغة الصفة المشبهة وصفاً للبلد في موضع واحد في قوله عز وجل ﴿**وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ التين/3. والجامع لهذا الوصف بتعدد صيغه أن (مكة) بلد الأمن والأمان، إذ يأمن فيه الناس من الخوف والقتل والأمن ضد الخوف، واستأمن فلان فلاناً، دخل في أمانه. وقد أمنت فأنا آمن، وآمنت غيري، واصل آمن أَأْمن على زنة أفعل، وقد يطلق الأمين على المأمون كما في قول الشاعر:

الم تعلمي يا سلم ويحك أنني … حلفت يميناً لا أخون أميني

والمعنى مأموني، والأُمّان –بالضم والتضعيف – الأمين قال الأعشى[1]:

ولقد شهدت التاجر الـ … أمان موروداً شرابه[2]

وإذا ما أمعنا النظر في التغير الصرفي في استعمال المصدر (أَمْناً)، واسم الفاعل (آمنا)، والصفة المشبهة (الأمين) نجد أنَّ لكل صيغة أهميتها في تحديد الدلالة السياقية التي يروم التعبير القرآني الإفصاح عنها، على الرغم مما عرضه المفسرون في تحليل الاستعمالات الثلاثة، فأما الموضع الأول فقد جاء تقريراً وإثباتاً بأنَّ الله عز وجل قد خص البيت الحرام، هذه البقعة المباركة بأنها مثابة للناس وأمنا ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**﴾، وأمنا مصدر قياسي للفعل المتعدي (أَمِن) والمصدر كما هو معلوم يدل على الحدث الجاري على الفعل، وموضوع لمعناه دون الزمان والنسبة والذات[3]. والاسم أثبت من الفعل، وقد تأول

(1) ديوانه/48، دار المعرفة – بيروت.

(2) =: الصحاح: 2071/5–2702، اللسان: 21/13.

(3) =: الصرف الواضح، د. عبد الجبار النايلة/119، دار الكتب للطباعة والنشر– الموصل.

المفسرون في مجئ المصدر (أمنًا) عدة تأويلات، فقالوا أمنا مصدر باق على مصدريته، وقالوا بأنَّ المصدر ناب مناب اسم الفاعل للمبالغة وحملوا هذا التأويل على قوله عز وجل ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا...**﴾ والإسناد فيه مجازي أي آمنا من داخله وقالوا هو ظرف مكان على أنَّه موضع آمن. أو وجهوا في ذلك حذفا للمضاف والتقدير ذا أمن[1]. والبادي لنا والله اعلم توجيه المصدر ببقائه على مصدريته أقوى في الدلالة، إذ المراد إثبات وصف الأمن بالبيت يقول ابن عاشور: "والأمن مصدر أخبر به عن البيت باعتبار أنَّه سبب امن فجعل كأنه نفس الأمن مبالغة، والمراد من الجعل إما الجعل التكويني، لان ذلك قدرة الله واوجد أسبابه فاستقر ذلك بين أهل الجاهلية ويسرهم إلى تعظيمه فاستقر ذلك بين أهل الجاهلية ويسرهم إلى تعظيمه، وإما الجعل أن أمر الله إبراهيم بذلك فابلغه إبراهيم ابنه إسماعيل وبثه في ذريته فتلقاه أعقابهم تلقي الأمور المسلمة". أما التعبير بصيغة اسم الفاعل (آمنا) فهو على أن اسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث وفاعله وهو أدوم واثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة[2]، وهو يرسخ الصفة بالموصوف، ومن العلماء من حمل صيغة (فاعل) على صيغة (مفعول) فقالوا "أمن بمعنى مأمون" وهو وارد في لغة أهل الحجاز ويخصونه بالنعت فيقولون هذا سر كاتم بمعنى مكتوم[3]، وخير ما يستشهد به على هذا قول الحطيئة[4]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وقيل إن اسم الفاعل هنا يدل على النسب إلى الشئ، كما قالوا رجل تامر أي ذو تمر[5]، وبلد آمن بمعنى ذي امنٍ. غير أن من المفسرين من فسر ذلك على المجاز، فيكون المراد من قوله ﴿**بَلَدًا آمِنًا**﴾ أي أهله، لان الأمن والخوف لا

(1) =: الكشاف/95، إرشاد العقل السليم: 157/1، حاشية الصاوي على الجلالين، محمد الصاوي: 58/1.

(2) =: معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي/46-47، مطابع جامعة الكويت.

(3) =: صراع الأنماط اللغوية، دانيا سالم الصرايرة/90، دار الشروق للطباعة – عمان.

(4) =: ديوانه: 86.

(5) =: معاني الأبنية في العربية/52-53.

يلحقان بالبلد[1]. أما وصف البلد بصيغة (فعيل) ﴿**وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ فقد دلت هذه الصيغة على ثبوت صفة الأمن بالبلد الحرام ورسوخها حتى تقوم الساعة، وهذا يتفق مع دلالة صيغة (فعيل) في الصفة المشبهة فنقول هذا رجل طويل وذاك قصير، وفسر (الأمين) على(آمن)، وقد أشار الصرفيون إلى وجود هذا النوع من التعاور الصيغي، فأجازوا مجئ (فعيل) بمعنى اسم الفاعل كما قالوا في (عليم) بمعنى(عالم) و(أليم) بمعنى(مؤلم)، ووجهوا ذلك الاستعمال على محدوديته، إذ قد نشأ في ظروف لهجية اقتصر وجوده عليها[2]. غير أننا لانعدم الفرق بين صيغتي (فعيل) و(اسم الفاعل)، إذ كلاهما يدلان على ثبوت الوصف في الموصوف غير أن الصفة المشبهة أدوم في ملازمة الموصوف واثبت، فلا يرقى اسم الفاعل هذا الثبوت. وقيل إن (الأمين) بمعنى (المؤمن)، فصيغة (فعيل) بمعنى (مفعل)، كحكيم بمعنى محكم، وسميع بمعنى مسمع. قال الشاعر وهو عمرو بن معدي كرب:

أمن ريحانة الدّاعي السميع   يؤرقني وأصحابي هجوع

فجاء السميع بمعنى المسمع. ومعنى البلد الأمين: أي يؤمن من يدخله[3]. أو بمعنى مفعول قال الزمخشري[4]: "ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل".

الوصف بـ ((الحرم–الحرام–المحرم))

استعمل الوصف بالمصدر "حرماً" في موضعين وردا في سورتي القصص ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا** ...﴾/57 والعنكبوت ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا**﴾/67، وقد تلازم هذا الوصف مع وصف(آمناً). أما الوصف بصيغة المصدر (الحرام) فقد ورد في سبعة عشر موضعاً جاء مسبوقاً باسم (المسجد) في خمسة

(1) =: التفسير الكبير: 59/4.
(2) =: شذا العرف في فن الصرف/95، صراع الأنماط اللغوية/71.
(3) =: البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الانباري: 521/2، تحقيق طه عبدالحميد، دار الكتاب العربي . مصر، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، د. محمود سليمان ياقوت/63، دار المعرفة الجامعية – مصر.
(4) الكشاف/121.

عشر ذكراً وقد أشرنا لذلك في أثناء كلامنا في لفظ (المسجد)[*]. وفي موضعين سبق بلفظ (البيت) في سورة المائدة ﴿**وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**﴾/2، و﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ**﴾/97. أما الوصف بصيغة اسم المفعول فقد حظي بذكر واحد ورد في سورة إبراهيم في قوله عز وجل ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾/37. واصل الحرم في اللغة المنع والتشديد، والحرام ضد الحلال، ومنه يقال سوط محرم، إذا لم يلن بعد قال الأعشى[1]:

ترى عينها صغواء في جنب تراقب في كفّي القطيع المحرما

والحرمان يطلقان على مكة والمدينة المنورة، واحرم الرجل بالحج، إذا حرم عليه ما كان حلالاً، وأحرم الرجل أيضاً أي دخل في الشهر الحرام[2]. ويطلق المحّرم ويراد به الحرم على ما ورد في قول الأعشى[3]:

وما جعل الرحمن بيتك في العلى بأجياد غربيّ الصفا والمحرّم

وإذا نسبت إلى الحرم قلت رجل حرمي[4]. والفعل (حرم) من باب كرم مضموم العين في الماضي والمضارع ومصدره حُرْماً أو حُرُماً مثل عُسْرٍ وعُسُر، أما حرمت الصلاة فمن بابي قَرب وتعب حراماً وحَرَماً، وصيغة اسم المفعول (محَرّم) سمي به الشهر الأول من السنة الهجرية، وإدخال الألف واللام عليه لمح للصفة فيه، وجعل علماً بهما. والمصدر قد يمد فيكون (حراماً) أو يقصر فيكون (حُرماً) مثل زمان وزمن[5]. والحرام يكون بتسخير الهي، أو بمنع بشري، أو من جهة العقل أو الشرع، أو من يرتسم أمره، ويعد تحريم مكة نوع من أنواع الحرام في المنظور الشرعي، وتحريمها تحريم توقير وحرمةٍ، ومنه سمي الحرم حرماً، لتحريم

(*) تنظر صفحة (11) من البحث.
(1) ديوانه/179.
(2) =: مقاييس اللغة/238.
(3) ديوانه/176.
(4) =: العين: 221/3.
(5) =: المصباح المنير/82.

الله –عز وجل– فيه كثيراً مما ليس بمحرم في غيره من المواضع[1]. ومما يلحظ أن ورود الوصف بـ(حرماً) أوسع في دلالته على التحريم، إذ يقصد به مكة –شرفها الله– عامة ومن ضمنها البيت، وقد أكد القرآن على هذا عندما نعى الله –عز وجل– على المشركين إخفاء نعمه عليهم بتحريمه بلدهم إذ قال ﴿ **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ وقال ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾. أما الوصف بـ(الحرام) فخصّ به المسجد وهو فناء البيت والبيت نفسه، إذ قال الله سبحانه ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ البقرة/144، وقال ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**﴾ المائدة/97، أما الوصف بـ(المحرم) فقد ورد في دعاء إبراهيم (عليه السلام) قبل بنائه للبيت، لذا جاءت صيغة اسم المفعول ﴿**عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ مشعرة بعدم معرفة إبراهيم (عليه السلام) موضع الكعبة تحديداً حتى بوّأه الله له فبناها. وإذا ما أردنا أن نربط بين الدلالة اللغوية لمادة (ح. ر. م) وأثرها في التعبير القرآني وصفاً لمكة فالتحريم إما أن يكون بعدم استحلال أي شئ ثبت تحريمه فيه، أو التحريم يعني المنع أي أن مكة –ولاسيما المسجد الحرام فيها– ممنوعة من الظلمة والجبابرة[2].

الوصف بـ ((العتيق)):

ورد وصف البيت –الكعبة–بالعتيق في موضعين من سورة الحج الأول: قول الله جلّ وعلا: ﴿**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ الآية/29، الثاني، قوله سبحانه ﴿. . . **ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ الآية/33. وللعتق معنيان الأول: الكرم في الخَلق والخُلق، والثاني: القدم[3]، وقالوا في الأول ما أبين العتق في وجه فلان، دلالة على الكرم. ومن الباب أيضا العتق الجمال، واشتقاقه من قولهم: فرس عتيق إذا كان سبطاً جميلاً، وسمي أبو بكر الصديق

---

(1) =: المفردات/122، بصائر ذوي التمييز: 2/455–456.

(2) =: الجامع لأحكام القرآن: 9/302.

(3) =: مقاييس اللغة/707.

(﵁) عتيقاً لجماله، ولا يكون الجمال عتيقاً إلا مع شباب[1]. ومن المعنى الأول العتق الحرية يقال عتق العبد يعتق وبابه ضرب–يضرب، عتقاً وعتاقة بفتح العين فهو عاتق وعتيق، ولا يكون إلا ثلاثياً لازماً مبنياً للمعلوم، وتعدّيه يكون بالهمزة يقال أعتقته فهو معتق، فلا يتعدى بنفسه، ولا يأتي ثلاثيه مبنياً للمجهول فلا يقال: عتق العبد، وصيغة فعيل (عتيق) بمعنى مفعول (معتوق)، وجمع عتيق عتقاء على القياس. ويأتي قليلاً على وزن فِعال (عِتاق)[2].

أما المعنى الثاني فالعتيق القديم من كل شئ، وقد عتق يعتق عتاقاً وعتاقةً، إذا أتى عليه زمن طويل. ومنه دينار عتيق ودنانير عتق، ويقال للخمر إذا أعتقت زمانا: المعتقة[3] أما وجه وصف البيت بالعتيق فقد اختلفت آراء العلماء والمفسرين في ذلك فمنهم من قال بأنه سمي بذلك لأنه لم يملكه أحدٌ من بني آدم[4] وقيل لأنه أقدم مساجد الأرض واعتقها مستندين في هذا على قوله عز وجل ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...**﴾ آل عمران/96[5]. وقيل لأنه لم يقصده جبار أو عات إلا قصم الله ظهره وأهلكه، وهذا يوافق معنى أعتقت العبد فهو معتق وعتيق[6]، وقيل لأنَّ الله تعالى اعتقه من الغرق في طوفان قوم نوح عليه السلام فرفعه الله إلى السماء، والزم الملائكة حجه في السماء[7] ودليله قوله تعالى ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...**﴾ وقيل هو عتيق لكرمه، مأخوذ من قول العرب: حسب عتيق، إذا كريما قال الشاعر:

أما والله أن لو كنتَ حرًا وما بالحر أنتَ ولا العتيق[8]

---

(1) =: الاشتقاق/49–50.

(2) =: الصحاح: 1520/4–1521، المصباح المنير/233.

(3) =: العين: 146/1، لسان العرب.

(4) =: جمهرة اللغة: 21/2، الجامع لأحكام القرآن: 46/12.

(5) =: معاني القرآن، النحاس: 758/2، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث – القاهرة.

(6) =: الزاهر في معاني كلمات الناس: 188/2، المفردات/325.

(7) =: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 3/تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث – القاهرة344، التفسير الكبير: 30/23.

(8) =: معاني القرآن، الفراء: 192/3.

منهم من ذهب إلى أن الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب والبادي لنا أن ما ذهب إليه القرطبي بأنَّ البيت سمي عتيقاً لقدمه وهو أرجح الأقوال معضدا ذلك بما ورد في صحيح الأحاديث والآثار التي تثبت أن البيت أول مسجد وضع في الأرض[1]. غير أن الزجاج قد أجاز وجوه التفسير في البيت العتيق ووصف ذلك بالحسن، ثم أوكل العلم فيه إلى الله[2]، وذلك لان العتيق فيه معان عامة ويطلق على المتقدم في الزمان والمكان أو الرتبة، فكل قديم عتيق وكل كريم عتيق ومن خلي عن الرق عتيق، ومن حسن وجهه لجماله عتيق[3].

ثانياً: الأوصاف الأحادية:

الوصف بـ ((البركة))

جاءت صيغة اسم المفعول (مباركا) وصفا للبيت في بكة في موضع واحد في سورة آل عمران وهو قوله عز وجل ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ الآية/96.

واصل مباركا مأخوذ من الثلاثي المزيد بالألف (بارك) وجذره (ب، ر، ك) يدل على ثبوت الشيء ولزومه وجميع معانيه متقاربة، ومنه يقال: برك البعير إذا وقع على الماء أو الفلاة من حر الشمس أو الشبع، والمبرك موضع البروك وجمعه مبارك، والبركة بكسر الباء موضع استقرار الماء وثبوته، أما البركة بفتح الباء والراء فهي الزيادة والنماء في الخير[4] ووصف بيت الله الحرام بالمبارك لأنه "كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب"[5] ونصب (مباركًا) على الحال من الضمير في الفعل (وضع) أي وضع هو أو نصب بالظرف من (بكة) والتقدير: الذي استقر (ببكة مباركًا)، ولا يجوز

(1) =: الجامع لأحكام القرآن: 46/12.

(2) =: معاني القرآن وإعرابه: 344/3.

(3) =: المفردات/325، بصائر ذوي التمييز: 18/4.

(4) =: مقاييس اللغة/108–109، المصباح المنير/32.

(5) الكشاف/183.

إعرابه خبرًا ثانيًا، أو بدلاً من (الذي) أو على إضمار مبتدأ[1]، والتعبير بصيغة اسم المفعول(مباركًا) لأنَّ "الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة).

الوصف بـ ((المثابة))

اقتصر التعبير القرآني بوصف بيت الله في مكة المكرمة بـ (المثابة) في موضع متفرد حوته سورة البقرة في قوله سبحانه ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**﴾ الآية/125 ولأهل التفسير في بيان معنى (المثابة) رأيان يستقيان من الأصل اللغوي، الأول: أنّ الله جعل بيته الحرام مرجعاً يثوبون إليه لا يقضون منه وطرا أبدا، والثاني: أنّ الله جعل بيته الحرام موضع ثواب يثاب فيه الناس جزاء أعمالهم بحجه واعتماره[2]، والمثابة مأخوذة من الفعل ثاب – يثوب أي رجع وعاد إلى الشئ، وقيل لكل راجع ثائب، ومنه ثواب الله للعبد جزاء أعماله، فكأن الله عز وجل قد رجع إليه أجر عمله، والمصدر ثوبًا وثؤوبًا وثواباً[3]. ومن مجاز الباب ثاب إليه عقله وحلمه، وثاب الغبار إذا سطع وكثر، وثاب إليه جسمه بعد الهزال إذا سمن[4]. ويطلق على الإنسان إذا تزوج ثيب ولكنه في المرأة أكثر، وذلك لأنها ترجع إلى أهلها بغير الوجه الذي خرجت منه[5]. أما المثابة فهي اسم مكان واصله موضع فم البئر المستقى يقال ثاب الماء إذا رجع إلى حالته الأولى بعدما يستقى[6]. وفي الصيغة إعلال صرفي فالمثابة أصلها المثوبة نقلت حركة الواو إلى الثاء، فانقلبت الواو ألفاً إتباعاً لثاب يثوب، وحمل الاخفش الهاء فيها للمبالغة

---

(1) بصائر ذوي التمييز: 2/209–210.

(2) =: إرشاد العقل السليم: 1/157.

(3) =: جمهرة اللغة: 1/204.

(4) =: أساس البلاغة/78.

(5) =: المصباح المنير/56.

(6) =: الاشتقاق/484، جمهرة اللغة: 1/204.

كما في (نسابة) لكثرة من يثوب إلى البيت الحرام[1]. والذي يبدو– والله اعلم – أن الرأي القائل بان المثابة هو المرجع إلى بيت الله في كل زمان هو الأقوى من سياق الآية، إذ اخبر الله تعالى بأنَّ البيت الذي وضع للناس مثابة وأمنا لهم.

الوصف بـ ((جبي الثمرات))

ورد هذا الوصف في موضع قرآني في سورة القصص وهو قوله عز وجل ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ الآية/57 أردف وصف البيت بجني الثمرات بعد أن ثبت له تحريمه وأمنه للناس، ومنهم قريش ومعنى ذلك أن ثمرات كل أرض، وخيرات كل بلد تجبى وتجمع إلى ذلك الحرم المعظم، وهذا من فضل الله ومنه على قريش المخصوصين بالخطاب بعد أن قالوا للرسول (ﷺ) بأنَّا إذا تبعناك تخطفتنا العرب من أرضنا وهي مكة[2]، والجبي جمع الشئ وتجمعه مأخوذ من جبي الماء في الحوض أي جمعه، والجابية: الحوض الواسع تشرب منه الإبل ومنه جبى الرجل إذا سجد وهو تجمع أيضا[3]. ومن المجاز "فلان يجتبي جبي المجد أي يقوم بالمجد ويجمعه لنفسه قال ذو الرمة[4]

**وما زلت تسمو للمعالي وتجتبي		جبى المجد مذ شدت عليك**

واجتباه: اختاره، مستعار منه لان من جمع شيئا لنفسه فقد اختصه واصطفاه، وهو من جبوة الله وصفوته"[5] والتعبير بصيغة الفعل المضارع يدل على حدوث فعل الجبي وتجدده إلى أن تقوم الساعة، فالبركة فيه لا تنقطع، وبناء الصيغة للمجهول دل على العلم بالفاعل، فالله جابي الخيرات ولا أحد سواه. والقول في عموم الإطلاق (من كل شئ) أشعر بأنه لا خصوصية لشئ يجبى إلى هذا البلد،

---

(1) =: معاني القرآن، الاخفش/ 110 تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية– بيروت، إعراب القرآن، النحاس/62.
(2) =: الجامع لأحكام القرآن: 240/13.
(3) =: العين: 192/6، مقاييس اللغة/217.
(4) ديوانه/119، دار الكتب العلمية – بيروت.
(5) أساس البلاغة/82.

فالخيرات متنوعة والبركات مختلفة، والنفع لا حصر له في الغادي والرائح. وثمة قراءة قرأ بها نافع وهي بالتاء (تجبى)[1] والعود فيها للثمرات، وليس للحرم.

الوصف بـ ((المعمور))

ورد هذا الوصف مرة واحدة في سورة الطور في قوله سبحانه: ﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾ الآية/4، وقد اختلف المفسرون في تحديد البيت المعمور المذكور في الآية، فذهب فريق منهم إلى أنَّه البيت الذي في السماء واسمه (الضراح)، تعمره الملائكة بالدخول إليه والخروج منه إذ لا يعودون إليه، وهو حيال الكعبة وقيل هو البيت الذي كان في الأرض في موضع الكعبة قبل الطوفان، فلما طغى الماء رفع إلى السماء، واختلفوا في أي سماء محله، فقالوا في السادسة، أو في الرابعة، أو في السماء الدنيا. وذهب فريق ثان من المفسرين إلى أن المقصود بالبيت في الآية هو الكعبة الذي عمره الله تعالى بالناس، فإنْ عجز الناس أتمه بالملائكة، فهو أول بيت وضع لعبادته سبحانه في الأرض[2]. والبادي لنا –والله اعلم– أن الرأي الثاني أرجح لبعده عن التأويل، فضلاً عن ذلك فثمة قرائن تثبت العمارة للبيت الحرام، من ذلك قول عز وجل ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ التوبة/19. وقوله ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾ التوبة/18، والمعمور اسم مفعول من (عمر) وأصله يدل على بقاء وامتداد زمان ومنه: العمر الحياة ويقال: عمر الناس طالت أعمارهم، ومنه عمارة الأرض، عمر الناس الأرض عمارة، والمكان عامر ومعمور، واستعمر الله الناس في الأرض ليعمروها[3]، والعمارة ضد الخراب والاعتمار والعمارة ضد الخراب، والاعتمار والعمرة الزيادة التي فيها عمارة الودّ، وعمارة المسجد إما من العمارة التي هي حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيادة أو هي من قولهم عمرت بمكان كذا أي قمت به[4] ووصف البيت بالمعمور لأنَّ الله سبحانه قد تعهده بأنْ يعمره زائروه ﴿**وَأَذِّنْ**

---

(1) =: التيسير، أبو عمرو الداني/172، تصحيح أوتويرتزل، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.
(2) الكشاف/1055، الجامع لأحكام القرآن: 48/17.
(3) =: مقاييس اللغة/676.
(4) =: المفردات/350.

فِي النَّـاسِ بِـالْحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَـالًا وَعَلَـى كُـلِّ ضَـامِرٍ يَـأْتِينَ مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ عَمِيـقٍ﴾ الحج/37، ومن صور عمارته رفع أصواتهم في التلبية والتكبير والذكر.

الوصف بـ ((المعاد))

تفرد ذكر هذا الوصف في موضع من سورة القصص في قوله عز وجل ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ الآية/85 الخطاب موجه للرسول (ﷺ)، وقد اختلف في معنى قوله ﴿**لَـرَادُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ**﴾ فقيل: أي إن الذي أَنزل القرآن، وفرض أحكامه عليك يا محمد، لرادك إلى بلدتك مكة، إشارة إلى هجرته (ﷺ) منها، والعودة إليها منتصرا بالفتح والغلبة على الرغم من أن السورة مكية النزول. وذلك أن النبي(ﷺ) لما خرج من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إليها فنزلت الآية[1]. وهذا الرأي هو الأشيع والأكثر عند المفسرين، وقيل معنى قوله ﴿**لَـرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ أي إلى الجنة، وفي ذلك تأويلان قيل لأنه دخلها ليلة إسرائه، وقيل لأنَّ أباه آدم خرج منها[2]، وفي كلا القولين بشارة للرسول (ﷺ)بالنصر على المشركين في الدنيا، أو بدخوله الجنة في الآخرة. ووجه وصف مكة بالمعاد، لأنَّ العود تثنية الأمر عودًا على بدء، والعودة المرة الواحدة والحج معاد الحاج إذا ثنوا الرجوع إليه بعد الانصراف[3]، والمعاد كل شئ إليه المصير، لذا فالآخرة معاد للناس، والله المبدئ والمعيد إذ بدأ الخلق ثم يعيدهم، ومنه سمي العيد عيداً، لمعاودته على الناس في كل عام[4]. و"المعاد يقال للعود وللزمان الذي يعود فيه، وقد يكون للمكان الذي يعود إليه قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ قيل أراد به مكة"[5]، والخطاب وإن كان مخصوصاً بالرسول (ﷺ) بعوده إلى مكة، غير أنَّه يشمل الناس جميعاً إذ في كل عام يعودون إلى مكة بعد أن ينصرفوا عنها زمن الحج، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(1) =: لباب النقول، السيوطي/165.
(2) =: الجامع لأحكام القرآن: 256/13-257.
(3) =: العين: 218/2.
(4) مقاييس اللغة/692-693.
(5) المفردات/354.

الوصف بـ ((القيام للناس))

ذكر هذا الوصف في موضع واحد في سورة المائدة في قوله تعالى﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ**﴾ الآية/97 بعد أن ذكر الله حرمة بيته (الكعبة) أردف مبيناً نعمه وفضله على أهل مكة بأن جعل هذا البيت قياماً لهم "انتعاشاً لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجّهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم"[(1)]. ووفق هذا التفسير يكون (قياماً) بمعنيين الأول: قياماً يقومون بها، الثاني: قياماً يقومون بشرائعها[(2)]. و(قياماً) مصدر(قام)، "تقول: قمت قياماً ومقاما وأقمت بالمكان إقامة ومقاماً، والمقام: موضع القدمين. والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه... والقيام: العماد في قوله سبحانه ﴿**جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾"[(3)] وهو من الديمومة والثبات على الأمر، وأصل قيام قوام قلبت الواو ياءً جوازا مع الكسرة، ومزيده بالهمزة (أقام) دلّ على اتخاذ المكان وطناً[(4)].

الوصف بـ ((الهُدى))

حوت سورة آل عمران وصف البيت الحرام في مكة بأنه ﴿**هُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ وذلك في قوله تعالى ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ الآية/96شملت الآية جملة من الأوصاف للبيت الحرام في مكة كان مسك ختامها أنّه ﴿**هُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ يهديهم لأنه قبلتهم في التوجه إلى سبل الخير والتوحيد "ووصفه بالمصدر في قوله (هدىً) مبالغة لأنه سبب هدى، وجعل هدىً للعالمين كلهم لأنَّ شهرته، وتسامع الناس به يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، و أنَّه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك، فيهتدي بذلك المهتدي ويرعوي المتشكك"[(5)] وفي إعراب (هدى) توجيهان أحدهما أن الواو

---

(1) الكشاف/311.
(2) =: الجامع لأحكام القرآن: 284/6.
(3) =: العين: 231/5.
(4) =: المصباح المنير/309.
(5) التحرير والتنوير: 16/4.

عاطفة وهدى معطوف على الحال (مباركا) والآخر أن الواو مستأنفة وهدى خبر لمبتدأ محذوف تقديره "وهو هدى للعالمين"[1] وأصل الهداية الرشاد والدلالة ضد الضلال يقال هدى الله العباد هدى وهديا وهداية وهدية أي بين لهم طريق الصلاح والخير، وقد يقام الاهتداء موضع الهدى ومنه قوله سبحانه ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ طه/82 والمعنى أقام على الإيمان، من أسمائه تعالى الهادي وهو الذي بصر العباد بربوبيته، وكل من هداه الله فهو مهدي[2]والفعل منه يتعدى إلى مفعولين وله صورتان إما أن يتعدى إلى الثاني مباشرة أو يتعدى إلى الثاني بحرف الجر (اللام أو إلى)، ويمكن إيجاد الفرق بين ذلك عن طريق معنى الفعل نفسه، فإذا "اعتبر فيه معنى الاراءة والإبانة تعدى بنفسه، وان اعتبر فيه مطلق الإرشاد فهو متعد بالحرف، فحالة تعديته هي المؤذنة بالحدث المتضمن له"[3].

الوصف بـ ((الوضع للناس))

هذا الوصف ورد أيضاً في موضع قرآني في سورة آل عمران ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾ الآية/ 96 الآية إخبار من الله عز وجل بقدم بيته الحرام في مكة فهو أول ما وضع من بيوت العبادة للناس، وذلك أن الآية نزلت حينما تفاخر المسلمون واليهود، إذ قال اليهود بيت المقدس أفضل من الكعبة، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل، فأثبت ما قاله المسلمون[4] "قال مجاهد: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة، وأنَّ قواعده لفي الأرض السابعة السفلى وأما المسجد الأقصى فبناه سليمان (عليه السلام)[5] وجملة (وضع للناس) فعلية في محل جر صفة لبيت"وبني الفعل المجهول للعلم بفاعله

(1) =: إعراب القرآن/146.
(2) =: لسان العرب: 391/11.
(3) التحرير والتنوير: 188/1.
(4) =: أسباب النزول، الواحدي/92، تحقيق مجدي فتحي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية – مصر.
(5) الجامع لأحكام القرآن: 120/4.

فالله هو الواضع، فضلا عن صرف المخاطب للاهتمام بالفعل ومن وقع عليه. واصل الوضع: الخفض والحط تقول وضعته في الأرض وضعا[1]. وهو ضد الرفع: "ولما كان الشئ المرفوع بعيداً عن التناول كان الموضوع هو قريب التناول فأطلق الوضع لمعنى الإدناء للمتناول، والتهيئة للانتفاع"[2].

(1) =: مقاييس اللغة/1055.

(2) التحرير والتنوير: 12/4.

Names of Mecca in the Quranic Contexts

Asst. Prof. Dr. Firăs A. Abdul-Qadir*

Abstract

The current paper aims at studying the Quranic verses in which the qualities and names of the holy city, namely, Mecca are mentioned. The study crystallized after pondering on the verses that mention the names of Mecca explicitly or mention some qualities of it. The study falls into two main parts: the first part concerns with the explicit names like: Mecca, Becca, Ka'ba, Al-Balad, Al-Bait, Um-u-l-Qura ……etc. As for the second part, it concerns with the most recurrent qualities of the holy city, i.e. Mecca. Sometimes, these qualities may be in combination with the explicit names, others may be qualities alone. This isolation may be satisfying, because these qualities like proper names confined only to Mecca and not applied to other cities. Some of these qualities are mentioned once and others are mentioned twice or thrice with different forms from the same root. We have selected the name Mecca rather than others as a title for our paper because it is the most famous name. We have analyzed the names and qualities linguistically and semantically in addition to giving a Quranic statistics for each one.

* Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.